الوعد بإنسان

رأينا فيما سبق أن الرب يسوع كان الله منذ الأزل ، وأنه ظل كما هو الله أيضا في فترة تجسده ، وأنه هو الله الآن وإلى الأبد . وسوف نتأمل في الجزء الثاني من هذا الكتاب في حقيقة أن ابن الله الأزلي أصبح إنسانا . وهو مازال كذلك حتى يومنا هذا ، ويبقى دائماً واحدا . فهو الله والإنسان معاً ، في طبيعتين متميزتين .

ولم يصبح ربنا إنسانا إلا عندما حُبل به من الروح القدس في رحم العذراء مريم . ولكن قبل هذا الوقت ، كان واضحاً أن ابن الله سوف يأخذ طبيعة البشر يوما ما . والحقيقة إنه قد ظهر كانسان قبل تجسده بوقت طويل .

**** ملاك الرب :***

لا يمكن الاستناد إلى هذا الإعلان بمجرد الرجوع إلى نص أو اثنين من العهد القديم . ولتوضيحه لابد من الربط الدقيق بين العديد من فقرات الكتاب المقدس .

وبادئ ذي بدء لابد من ملاحظة فقرات متعددة في العهد القديم يأتي فيها ذكر " ملاك الرب " . فواضح تماماً أن المقصود به هو الله نفسه . وبنفس الوضوح لابد أن ندرك أنه مميَّز عن الله . فكلمة " ملاك " تعني " مُرسَل " أو " رسول " ، فعبارة ملاك الرب إذن تعني " المرسل من يهوه "

يذكر الوحي في (تكوين 16 : 7 - 13) كيف أن هاجر التي هربت من وجه أبرام وسارای ، قيل لها من قبل " ملاك الرب " أن ترجع إليهما . وواضح تماماً أن من يكلمها كان الرب نفسه ، إذ أجابته تلك قائلة " أنت إيل رُئي". أي أنت الله الذي يرى فالذي أُرسل من الله واتخذ هيئة مرئية أمامها ، لم يكن سوى الله نفسه !

وإبراهيم نفسه جاءه ملاك الرب بعد ذلك بقليل ، عند بلوطات مَمْرا (تكوين 18) . ويسجل الوحي أن الزائر ظهر في هيئة رجل (عدد 2) ، لكن من الواضح أيضا أنه كان الرب نفسه (اعداد 1 ، 13 ، 14) . وأدرك إبراهيم هذه الحقيقة ، ورفع صلاته له (اعداد 23 - 33) . لقد وقف أمام إنسان وخاطبه على أنه الله !

لم تكن هذه هي المرة الأخيرة التي قابل فيها إبراهيم ملاك الرب . لقد كان أيضا ملاك الرب هو الذي منعه من ذبح ابنه اسحق (تكوين 22 : 11 - 15) . ودعا إبراهيم ذلك المكان " يهوه يرأه " أي الرب يدبِّر (عدد 14) ، لأنه أدرك مرة أخرى هوّية هذا الزائر السمائي . وأعطاه الملاك وعداً ، بدأ بهذه الكلمات " بذاتي أقسمت ، يقول الرب ..... " (عدد 16) . فالذي أرسله الرب كان الرب نفسه !

لقد جاء ذكر ملاك الرب في مناسبات عديدة في العهد القديم ، وفي كل منها وضح تماماً أن المرسل من الله ، والذي كثيرا ما قيل عنه بالتحديد أنه في هيئة بشرية ، هو الله نفسه .

لقد كان ملاك الرب هو من تكلم إلى موسى من العليقة المشتعلة قائلا " أنا إله أبيك ... " (خروج 3 : 6) ، ويستمر في الحديث حتى يظهر اسمه " أهيه الذي أهيه " (عدد 14) . لقد كان صوت الملاك هو صوت الرب (أعمال 7 : 31) . وكان الملاك هو الله الذي سار أمام يعقوب ورعاه منذ وجوده (وجود يعقوب) (تكوين 48 : 15 ، 16) ، وهو الرب نفسه الذي سار أمام بني إسرائيل أثناء هروبهم من مصر (خروج 13 : 21 ، 14 : 19) . إنه ملاك الرب الذي ظهر مرتين في سفر القضاة ، وفي كل مرة يعلن أنه الله نفسه (قضاة 6 : 11 ، 12 ، 14 ، 16 ، 13 : 3 ، 9 ، 22) . لكن كانت هيئته المنظورة في صورة إنسان ، إذ أننا نقرأ عنه أنه " جلس " (6 : 11) ، والتفت (6 : 14) ، وكانت له ملامح (قضاة 13 : 6) . لقد ظهر واضحاً كانسان في المرتين ، حتى أن من قابلوه أحضروا له طعاماً (6 : 19 - 22 ، 13 : 15 - 23) .

فالشخص الذي اعتقدوا أنه " رجل الله " (13 : 6) و" الرجل "(عدد 10) كان الله المُرسل من الله ! فمن يكون هذا سوى ابن الله الأزلي قبل تجسده ؟

لقد أوضح العهد القديم بطرق كثيرة أن هذا الشخص الذي ظهر كانسان ، لم يكن صورة ثانوية لله . فعلى سبيل المثال في قصة حلم يعقوب الشهيرة ، عن السلم الذي يصل إلى السماء يذكر " هوذا الرب واقف عليها ، فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله اسحق ... " (تكوين 28 : 13) .

لقد أتضح الأمر لقد رأى يعقوب الله ، لقد ذكر هذا الإعلان بلا أي تعديلات . وفيما بعد في نفس هذه الرواية ، عندما كان يعقوب يحكي عن حلم آخر، أن هوية ملاك الرب ظهرت كالرب نفسه " وقال لي ملاك الله في الحلم.. أنا إله بيت إيل .. " (تكوين 31 : 11 ، 13) .

وهكذا تكون فكرة أن الملاك الذي رآه لم يكن هو الله ؛ مقضيا عليها تماما، فالذي رآه يعقوب كان الله نفسه .

في مناسبة أخرى " بقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر " (تكوين 32 : 24) . لم تظهر هوية هذا الإنسان لنا مباشرة ، حتى جاءت شهادة يعقوب نفسه التي أعلنتها بوضوح تام لأذهاننا " فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل (أي وجه الله) قائلاً : لأني نظرت الله وجها لوجه ، ونُجِّيتْ نفسي " (تكوين 32 : 30) .

قبل تجسد المسيح بزمن بعيد ، صارع يعقوب مع إنسان واتضح أنه الله! نعم " جاهد مع الملاك وغلب ، بكى ، واسترحمه ، وجده في بيت إيل ، وهناك تكلم معنا، ذاك هو الرب إله الجنود يهوه اسمه " (هوشع 12: 4 - 5).

وبالمثل ، لما أعطيت شريعة الله لبني إسرائيل على جبل سيناء ، تكلم الله نفسه بصوت مسموع ، وبلغة بشرية (تثنية 4 : 33 ، 36 ، 39) . " ونزلتَ على جبل سيناء ، وكلمتَهم من السماء ، وأعطيتَهم أحكاماً مستقيمة وشرائع صادقة ، فرائض ووصايا صالحة " (نحميا 9 : 13) ويقرر الكتاب المقدس بكل صراحة أن الصوت الذي تكلم كان صوت الله . ولم يُذكر بالتحديد أن الصوت الذي أعطى الشريعة كان صوت " الملاك " إلا في العهد الجديد في خطاب استفانوس الدفاعي (أعمال 7 : 38) . وعليه فلا مكان للشك في أن "

ملاك الرب " هو " يهوه " نفسه . فلم يكن " ملاك حضرته " (في اشعياء 63 : 7 - 9) سوى الرب نفسه .

التحقق من شخصية الملاك :

ما لنا وكل هذا ؟ في كل الفقرات التي استشهدنا بها ظهر الله في صورة بشرية كانسان ، وذلك بصفة مؤكدة . لكن كيف يتمشى هذا الكلام مع تأكيدات العهد الجديد أن " الله لم يره أحد قط " ؟ (يوحنا 1 : 18) .

سوف نجد الإجابة واضحة إذا أكملنا قراءة هذا العدد ، إذ يقول " الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبَّر " . وحين يقول يوحنا أن أحداً لم ير الله ، فهو يقصد الله الآب .

وهذا يؤكده ما جاء في يوحنا 6 : 46 " ليس ان أحدا رأى الآب " حقا إن أحدا لم ير الله الآب ، إلا أن هناك عيوناً بشرية قد رأت الله فعلاً ! فالله الذي رأوه هو الله الابن . إنه هو الذي قال " الآب قد أرسلني " (يوحنا 5 : 36) . إنه الله الذي أُرسل من قبل الله . إنه هو الذي كان " ملاك الرب " . فابن الله الأزلي ظهر مرات عديدة في صورة بشرية قبل أن يتخذ لنفسه جسماً بشرياً بزمن بعيد .

كل ظهور لله كان - في واقع الأمر - ظهوراً للرب يسوع المسيح . فمجد الله لم يظهر سوى على وجهه (2كورنثوس 4 : 6) . ويجب ألا يظن أحد منا أنه " أخفق " بطريقة أو بأخرى لأنه لم ير الله الآب . فيسوع وقف أمام العالم ليعلن " أنا والآب واحد " (يوحنا 10 : 30) . " الذي يراني يرى الذي أرسلني " (يوحنا 12: 45) ، " الذي رآني فقد رأى الآب ، فكيف تقول أنت أرنا الآب " ؟ (يوحنا 14 : 9) .

نحن نذكّر أنفسنا ثانيةً عندما رأى اشعياء يهوه في كل مجده ؛ وسقط على وجهه في محضر كلي القداسة ، فقد رأى الرب يسوع المسيح وقتئذ (قارن اشعياء 6 : 1 - 12 مع يوحنا 12 : 34 - 41) . فالله الذي رآه في هذه الرؤية المجيدة كان في صورة إنسان . وقد كان جالساً على عرش عال ، وأذياله تملأ الهيكل . نحن نفترض أن اختبار اشعياء هذا ؛ لم

يختلف كثيراً عما رآه موسى وهارون وشيوخ إسرائيل ، عندما شاهدوا " إله إسرائيل " ، وأكلوا وشربوا في محضره (خروج 24 : 9 - 10) . لكن لماذا يُظهر الله - غير المنظور - نفسه من خلال ابنه في صورة إنسان حتى في أزمنة العهد القديم ؟

يأتي كإنسان :

للإجابة على هذا التساؤل نقول إن ظهور المسيح في صورة بشرية قبل تجسده ؛ كان تمهيداً لمجيئه المنتظر بين الناس . وقد تبرهن هذا الكلام بعدة شواهد من العهد القديم . فمثلا ، في (زكريا 2 : 10 - 11) تقابلنا هنا نفس الفكرة عن يهوه الذي يرسل شخصاً يكون هو يهوه ذاته . وفي ضوء ما نعرفه الآن عن " ملاك الرب " فإننا لا نجد شيئاً من الصعوبة في إدراك ذلك .

بل نجد الآن عاملا إضافيا . في هذه المناسبة ، يعد الرب الذي أُرسل أن " يسكن " بين شعبه . وإذ رأينا أنه عند ظهوره لشعبه ظهر في صورة إنسان، أليس من المنطقي أن نتوقع منه انه عندما يأتي ليسكن في وسطهم يأتي ليسكن في وسطهم كانسان ؟ لم يكن هناك تجسد بعد ؛ حين كتب زكريا نبوءته ، لكن بتنبيره عنه صار متوقعاً . لقد مهَّد السبيل ، وكانت كتابته بأقوى جرأة حين كتب عن راعي يهوه ، الذي وصفه رب الجنود بأنه " رجل رفقتي " (زكريا 13 : 7) . تُرى هل تذكَّر بطرس هذه الآية حين أعلن أن أنبياء العهد القديم لم يدركوا تماماً ما أُظهر لهم عن المسيح الآتي ؟ (1بطرس 1 : 10 ، 11) . وسواء فهم زكريا نبوءته أم لا ، فهي واضحة لنا بما فيه الكفاية عندما نرجع إليها . كان ظهور ابن الله كانسان هو الخطوة الأولى ، التي كان يجب أن تتبعها خطوة ثانية ، وهي أنه " يصبح " إنسانا .

ولم يكن صوت زكريا هو الأوحد في إعلان هذا الحق . فقبله كتب ميخا ان الذي " مخارجه منذ القديم ، منذ أيام الأزل " سيأتي من بيت لحم ويكون متسلطا على إسرائيل " (ميخا 5 : 2) لقد أدرك اليهود إدراكا صحيحا أن الشخص المقصود في هذه النبوءة سوف يولد هناك (متى 2 : 1 - 8 ، يوحنا 7 : 42) . أما ما عجزوا تماماً عن إدراكه هو أن هذا الشخص الذي سوف يأتي للجنس البشري ؛ لن يكون سوى الله الأزلي ! فلو علموا ذلك لما اضطهدوا وصلبوا رب المجد . فقد كان الحق مخفياً عنهم . لقد شهدت الأسفار المقدسة عن

المسيح (يوحنا 5 : 39) ، لكن اليهود لم يفهموها ، ولم يدركوا قدرة الله . ولذلك ظلوا في ضلالهم ولم يرجعوا إليه (متى 22 : 29) .

لقد تزامنت إرسالية ميخا مع إرسالية اشعياء . فهو أيضا تكلم عن المسيا الآتي ، وفي الواقع كتب عنه أكثر من كل كُتَّاب العهد القديم . وقد سبق ودرسنا ما كتبه بخصوص الابن الذي سوف يولد من عذراء (اشعياء 7: 14). ونبَّرنا على أن تلك النبوة أظهرت إلوهية المسّيا الآتي . والآن لابد أن نلاحظ أنها أيضا نبوءة عن أن الله سيولد ، وتبعتها نبوءة أخرى ، وهي أن المسيا الآتي سوف يكون الله القدير ، الذي سيتبوأ عرش داود . إلا أنه سوف يأتي كطفل مولود ، وكابن (اشعياء 9 : 1 - 7 ، متى 4 : 14 - 16) . هذا هو العمل العجيب الذي كانت قوة الله بصدد أن تصنعه. فالله دبَّر أن يأتي للجنس البشري كواحد منهم !

كان هذا التعليم واضحاً للدرجة التي لا يمكن معها تفسير فشل اليهود في إدراكه ، إلا على أساس أنهم كانوا عمياناً روحياً . فلم تكن الفصول الكتابية التي أشرنا إليها غامضة ، وقد عرفها اليهود كلها تمام المعرفة ، لكنهم - ببساطة - لم يروا ماذا تعني كلماتها . لقد توقعوا مسيّا ، ولكنهم لم يتوقعوا أن يكون هو الله . لم يدركوا أبداً تأكيد الكتاب العجيب والمذهل أن الله سوف يولد، وأنه سيصبح إنسانا بين الناس .

ألم يدر في ذهنهم سؤال ربنا يسوع الوارد في (متى 22 : 43 - 44) أبداً حتى نطق هو به ؟ لقد عرف كل اليهود أن المسيا الآتي سوف يكون ابن داود، أو من نسله . وكلهم عرفوا أن (مزمور 110) هو عن المسيا . ولو لم يكن هناك إجماع عام على صحة هذه الحقيقة ، لما كانت هناك فاعلية للحجج والبراهين التي أوردها كاتب العبرانيين في (5 : 6 ، 7 : 17) . لكن مزمور 110 كتبه داود . فإذا كان المسيا يجب أن يكون من نسل داود فكيف يذكره داود على أنه " رب " ؟

والإجابة - بالطبع - أن هذا النسل البشري يجب أن يكون إلهيًا ، فالله دبَّر أن يأتي إلى العالم كانسان من ذرية داود . ونجد هنا إشارة واضحة لتجسد ابن الله الآتي إلى العالم بالوضوح الذي يتمناه أي إنسان ، لكن اليهود لم يفطنوا إليها .

فإن كانوا لم يروا الحق المذخَّر في مزمور 110 ، ألم يستطيعوا أن يروه في مزمور 2 ، الذي طالما تغنوا به ؟ ألم يخبرهم الوحي من خلال كلماته ؛ أن ذاك الذي في السماء قد مسح على الأرض مليكه (الناسوت) الذي هو ابنه (اللاهوت) ؟ (مزمور 2 : 6 ، 7 ، 10 – 12) . ألم يعرفهم هذا المزمور إن من يخدم ابن الله فهو يخدم الرب ؟ ألم يدركوا من هذا المزمور ما يكفي من الحق الروحي الذي يقودهم لتوقع المسيا الإلهي الذي سيكون إنساناً فعلا ؟

وإلى جانب كل هذه الأصوات ، ها هو صوت ملاخي . كان صوته - كما نعلم - هو خاتمة كتاب العهد القديم ، والذي دوى على مدى أربعة قرون ما بين العهدين القديم والجديد ، إلى أن استخدم يوحنا المعمدان مضمونه .

لقد سجل ملاخي بأمانة كلمات الله الآتية " هأنذا أرسل ملاكي ، فيهيئ الطريق أمامي ، ويأتي بغتةً إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تُسرُّون به ، هوذا يأتي ، قال رب الجنود " (ملاخي 3 : 1) . وبعد أن واجهوا إعلان يوحنا بأنه تحقيق للجزء الأول من هذه النبوءة ، كان المفروض أن يملأ إسرائيل كلها التوقع ؛ وبالفعل كان كثير من الناس كذلك (مرقس 1 : 1 - 9) .لأن الخطوة التالية للأحداث هي المجيء الفعلي " لملاك " أو " رسول " العهد . وكان لزاماً لذاك الذي ظهر كثيرا كانسان ، أن يأتي إلى شعبه ويأتي إلى هيكله . فقد ذكرت حقيقة مجيئه مرتين . فما الذي كان يمكن أن يقصده ملاخي سوى أن " الملاك " سيأتي جسدياً إلى هيكله كانسان ؟ فالملاك الأول في هذه الآية كان واضحاً أنه إنسان ، فكيف إذن يكون الثاني غير ذلك ؟

بالحقيقة إنسان :

إن أقوال العهد القديم التي تؤكد أن الله الآتي سيأتي في صورة إنسان ، والإنسان الآتي سيكون هو الله ، لم تكن هي الوحيدة في العهد القديم التي تحدثت عن مجيء المسيا . فبالرجوع إلى الكتاب مرة أخرى ، نجد أن كل الأنبياء القدماء كانوا يبحثون أي وقت أو ما

الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم ، الذي سبق فشهد بالآلام التي للمسيح ، والكثير منها - كما رأينا - أوضحت أن هذا الآتي هو الله . وكلها بلا استثناء أظهرت أهمية أن يكون إنسانا . ولن يكون للنبوءات اللاحقة أي معنى ، إن لم تكن هذه هي الحقيقة .

بالنسبة لميعاد مجيئه ، فقد ذكرت النبوات بأنه سيأتي قبل أن يزول قضيب يهوذا (تكوين 49 : 10) ، بعد أربعمائة وتسعين عاماً من صدور الأمر بإعادة بناء أورشليم (دانيال 9 : 24 - 27) ، وأثناء وجود الهيكل الثاني (حجي 2 : 9 ، ملاخي 3 : 1).

كان لابد للمسيح أن يُولد الولادة البشرية (اشعياء 7 : 14 ، 9 : 6 ، تكوين 3 : 15 ، 17 : 7) ، ويولد في ظروف متواضعة (مزمور 22 : 6 ، 9 - 12 ، ميخا 5 : 2) ، وأن يكون من سبط يهوذا ومن بيت داود (ارميا 23 : 5 ، 6) . وسبق أن رأينا أنه كان لابد أن يولد من عذراء (اشعياء 7 : 14) ، ويسبقه من يتقدم أمامه (ملاخي 3 : 1) . وسوف يخضع لناموس الله؛ وسيظهر طاعة كاملة له (مزمور 40 : 6 - 10) . وأخيرا سوف يموت ، ويُدفن ، ويظل تحت سلطان الموت لفترة وجيزة (اشعياء 53 ، مزمور 16 : 9 - 11 ؛ 22 ؛ 118 : 17 - 23) .

وجاء الكثير من تفصيلات موته والأحداث التي سبقته بتفاصيل دقيقة . فكان عليه أن يدخل أورشليم راكبا على جحش (زكريا 9 : 9) . وكان يجب أن يُباع بثلاثين من الفضة ، وبها كان يجب أن يُشترى حقل الفخاري (زكريا 11 : 12 - 13) . وكان يجب أن يُجلد ، ويُعذَّب ، ويُبصق عليه ، ويُذل (اشعياء 50 : 6) . وكان لابد أن تُلقى قرعة على ثيابه (مزمور 22 : 18) . وكان يجب أن يُعطى خلاً ليشرب (مزمور 69 : 21) . ونفس الكلمات التي نطق بها على الصليب سبق التنبؤ بها (مزمور 22 : 1) ، وكان لابد أن تنفصل عظامه (كما كان يحدث في كل عمليات الصلب) (مزمور 22 : 14). كان يجب أن تُثقب يداه ورجلاه ويُطعن (مزمور 22 : 16 ، زك 12 : 10) ويستهزأ به (مز22 : 7 - 8) ويتفرس فيه (مز 22 : 17) ، ويحصى مع الأشرار ، ومع غنى عند موته (اشعياء 53 : 9) .

ونقول ثانية ، أن (1بطرس 1 : 10 - 11) تقودنا إلى الاعتقاد بأن الأنبياء أنفسهم ؛ لم يفهموا كل ما كتبوه عن المسيا الآتي . لكن النبوات قد سُجلت ، على أية حال . وإذا لم يكن إدراك كل التفاصيل قبل الوقت المعيَّن ، فعلى الأقل أولئك الذين لهم العيون التي تبصر؛ لم يتشككوا في حقيقة عظيمة واحدة هائلة . فحين جاء المسيح ، لم يكن طيفاً أو خيالاً ، بل بالحقيقة كان إنساناً .